تعدّد جبهات المواجهة

تميّزت الفترة من ١٦/١٢/١٩٩٠ الى ١٥/٢/١٩٩١ بسمتين، محلية وخارجية، وسمتا مجريات الاحداث. ففي الشهر الاول من الفترة استمرت الصدامات في الاراضي المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية في نمط الاستنزاف المادّي والمعنوي المتبادل طويل الاجل، متجسّداً بالعمليات الصدامية «العصابية» للقوات الضاربة والشبيبة الفلسطينية المحلية، من جهة، وبانفجار التظاهرات والمواجهات الجماهيرية بين الحين والآخر؛ في الوقت الذي ازدادت حدّة التوتّر عبر الحدود. وفي الشهر الثاني، طفت احداث حرب الخليج على مجريات المواجهة الفلسطينية ـ الاسرائيلية، في كل ساحات التواجد الفلسطيني. فبالاضافة الى اصابة عشرات الفلسطينيين، جراء الغارات الجوية الغربية على الكويت، اشتعلت الجبهة في جنوب لبنان بالقصف والهجمات المتبادلة، ورزح اهل الارض المحتلة في العام ١٩٦٧ تحت نظام حظر تجوّل صارم وواسع.

الاستنزاف المتبادل

اشتدت المجابهة العنيفة مجدداً بين الانتفاضة الشعبية الفلسطينية وبين قوات الاحتلال الاسرائيلية خلال الشهر الاول. وكانت احدى أبرز علاماتها ارتفاع عدد الشهداء الى ١٩، مما رفع المجموع العام، منذ بداية الانتفاضة، الى ٩٨٣. وقد سقط اول الشهداء في الساعات الاولى من ١٦/١٢/١٩٩٠، في رفح، وعثر في حوزته على ثلاث قنابل يدوية. وسقط الشهيد الثاني في مخيم الشاطىء، في ٢٦ من الشهر عينه، بعد ان حاول طعن أحد الجنود، وربما جرح ثلاثة بالفعل. أمّا الحدث الاكثر بروزاً، فجاء في ٢٩ الشهر، حين قتل الجنود الاسرائيليون شابين ملثمين في رفح، ممّا فجّر مواجهات عنيفة، اشترك فيها آلاف المواطنين لمدة خمس ساعات، سقط، خلالها، ثلاثة فلسطينيين شهداء. وتلا ذلك استشهاد شاب فلسطيني في مجابهة مع الجنود والعملاء خلال اليوم التالي.

وتجددت المجابهات الواسعة في مطلع العام ١٩٩١، حيث اشتبك المحتفلون بذكرى انطلاقة «فتح» مع الجنود، الذين قتلوا اربعة مواطنين في انحاء الارض المحتلة، منهم اثنان هاجما دورية سيّارة للعدو في قرية خزاعة (غزة). ورفع ذلك مجموع الشهداء في القطاع الى عشرة في غضون اسبوع واحد، ممّا اثار ردة فعل الامم المتحدة، التي أصدرت قراراً غير لازم، وبياناً يدين العنف (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٥ ـ ٦/١/١٩٩١). كما تجدر الاشارة الى شهيد آخر في مدينة نابلس، في ١٣/١/١٩٩١، سقط بعد ان قام سائق صهريج اسرائيلي بصدم سيارته عمداً (**الحياة**، لندن، ١٤/١/١٩٩١).

كذلك تفجّرت المواجهات الجماهيرية في مناسبات اخرى عدّة. فبالاضافة الى معارك ٢٩ كانون الاول (ديسمبر)، التي سقط خلالها خمسة شهداء، وأُصيب ما بين ١٠٠ و ٢٥٠ مواطناً بجروح، تجددت المجابهة الواسعة في السادس من كانون الثاني (يناير) ١٩٩١، حيث سقط شهيد و٣٠ جريحاً؛ علماً بأن معدّل الجرحى برصاص الجنود قد تراوح بين ١٠ و٢٠ يومياً، ممّا يشير الى الطابع الجماهيري المتكرر للصدامات، والى انتشار رقعتها.

من جهة أخرى، تجسّدت حالة العنف بممارسات اسرائيلية عدة الى جانب اطلاق النار على المتظاهرين. فقد قام الجنود، تكراراً، باطلاق النار على الملثّمين، احياناً من داخل سيارات مدنية وبدون انذار؛ كما نصبوا الكمائن لاعتقال الناشطين، على نحو ما حصل ليلة ١٨ كانون الاول (ديسمبر)، عندما تمّ القبض على ثلاثة داخل سيارة جنوب مدينة رام الله (**المصدر نفسه**، ١٩/١٢/١٩٩٠).